

تدمير السلاح الكيماوي في سورية- العبر، والاستنتاجات والأبعاد على إسرائيل

بقلم د. دافيد فريدمان
باحث كبير في معهد أبحاث الأمن القومي (الإسرائيلي)
مجلة عدكين استراتيجي
الجزء ١١٦ / العدد ٤ / كانون الثاني ٢٠١٤

ترجمة من العبرية: أ. د. طالب القرشي^١

سلاح كيماوي في الحرب الأهلية في سورية

خلال سنوات كثيرة، وقبل اندلاع الحرب الأهلية، بنت سورية منظومة سلاح كيماوية واسعة، رأت فيها ميزانا استراتيجيا في وجه القدرات الإسرائيلية. وتضمنت هذه المنظومة أسلحة كيماوية متقدمة وسامة جدا، ومن بينها- غاز الأعصاب، ووسائل إطلاق متنوعة مناسبة لمواقع حربية مختلفة، وقذائف وصواريخ قادرة على إصابة جميع الأرض الإسرائيلية.

ومنذ ٢٠١١، حصدت الحرب الأهلية في سورية عددا كبيرا من القتلى، لاسيما المدنيين، ومن بينهم شيوخا ونساء وأطفالاً. وعلى الرغم من هذه النتائج، لم تمل الولايات المتحدة ودول أوربا إلى التدخل فيما يجري في سورية. ولكن في مرحلة معينة من القتال، وعندما حقق المتمردون نجاحات مهمة وبدى وضع الأسد ضعيفا- تنبأ كثيرون بسقوطه القريب- بدأت تسمع مخاوف من المحنة التي سيواجهها الأسد وربما يضطره إلى استخدام السلاح الكيماوي الذي يمتلكه. وعبرت عناصر أخرى مخاوف محتملة إزاء استخدام هذه المنظومة أو تفعيلها- استخدام تقوم به قوات الأسد ضد المتمردين، وتنقل مركبات هذا السلاح إلى منظمات غير حكومية مثل حزب الله، وإطلاقه نحو إسرائيل كخطوة يائسة، وغيرها. (١) وقد قدمت تقارير في بداية ٢٠١٣ عن حالات عدة من توزيع مركبات من هذه المنظومة الكيماوية بين القواعد، وتم الحديث عن استعدادات تنفيذية في القواعد وفي رفع حالات الاستعداد.

أدت هذه الأحداث بدول مختلفة، وعلى رأسها الولايات المتحدة وأيضاً روسيا، إلى إرسال تحذيرات متكررة إلى الرئيس السوري لكي لا يتجرب باستخدام هذا السلاح. (٢) علاوة على ذلك، صرح الرئيس أوباما وكبار آخرون في سلطته ان نشاطات المنظومة الكيماوية، وبالطبع استخدام هذا السلاح، سيشكل

^١ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد.

تجاوزا لـ "الخط الأحمر" الذي سيتطلب اتخاذ خطوات رد من جانب الولايات المتحدة . وعلى الرغم من هذه التحذيرات، ظهرت في ربيع ٢٠١٣ أخبار عن عدد من حالات الاستخدام الفعلي لهذا السلاح أو لمواد كيميائية عندما وقع الحادث المهم في ١٩ آذار في حلب، حيث قتل هناك، وحسب التقارير، ما يقارب ٢٥ مدنيا وجرح آخرون كثيرون. وادعت مصادر فرنسية وبريطانية وإسرائيلية ان لديها براهين عن استخدام قوات الأسد لغاز السارين. وكان موقف الولايت المتحدة الرسمي ان هناك أدلة أولية فقط يجب التأكد منها من اجل التحقق بشكل واضح فيما إذا تم استخدام السلاح الكيماوي . وقد وضعت هذه المقولة الأمريكية الواضحة عن التأكد من استخدام السلاح الكيماوي السلطة أمام ضرورة الرد خشية الإضرار بمصداقية الرئيس.

لقد حلت نقطة الانعطاف في ٢١ من شهر آب ٢٠١٣. (٣) وبدأ في هذا التاريخ وصول تقارير، وشهادات وصور مخيفة عن صفوف طويلة من الجثث- بضمنها نساء وشيوخ وأطفال- دون أية علامات عنف عليها. وعبرت تقارير المتمردين عن تنفيذ هجوم واسع بالسلاح الكيماوي أحصى في أعقابه أكثر من ١٥٠٠ قتيل وجرحى كثيرين جدا . ووصلت صور أيضا لمصابين بينت مواد مرشحة مميزة تسممهم بغاز الأعصاب . وبدأ في هذه المرحلة أيضا نشر أخبار رسمية أمريكية عن وجود أدلة جلية عن هجوم بسلاح كيماوي من نوع السارين نفذته قوات الأسد . وقد أخرجت بعثة المفتشين التي أرسلتها الأمم المتحدة ووصلت إلى منطقة الهجوم بعد أيام قليلة من تنفيذه تحقيقا، وفي تقريرها أعلنت بشكل واضح ان هناك آثارا لاستخدام السارين، وأيضاً بقايا قذائف استخدمت في نشر هذه المادة.

أدت نتائج هذا الهجوم إلى إعلان الرئيس الأمريكي أوباما في ان الولايات المتحدة ستهاجم سورية لمعاوية الأسد ومن اجل رده من تكرار استخدامه للسلاح الكيماوي . وقبل ان تنفذ الولايات المتحدة هجوما ما أشار وزير الخارجية الأمريكية، جون كيري، في مؤتمر صحفي في لندن في التاسع من سبتمبر ٢٠١٣ ان حكومة سورية قادرة على منع الهجوم العقابي المخطط إذا وضعت خزائنها الكيم ياي تحت إشراف دولي. (٤) وقد حرك هذا التصريح مسيرة سياسية مهمة . وتبنت روسيا الفكرة بشكل فوري ولم تكثف بهذا الاقتراح، وإنما وسعته إلى مشروع تدمير السلاح الكيماوي السوري الذي سيؤدي إلى انضمام سورية لمعاهدة السلاح الكيماوي (Chemical Weapons Convention-CWC)، ودعت سورية إلى قبولها . وأعلنت سورية بعد وقت قصير من ذلك أنها موافقة على هذا المشروع . وفي رده، أعلن الرئيس أوباما انه سيؤخر مشروع الهجوم . وقد نبع هذا الاتفاق، على ما يبدو، من فهم روسيا وسورية، ان احتمالات هجوم الولايات المتحدة بدونه عالية، وستكون لهذا الهجوم أبعاد بعيدة المدى في

سورية والمنطقة كافة. ويعد هذا الجانب الضيق للسلاح الكيماوي انتصارا مهما للرئيس أوباما حيث كان تهديده بالهجوم مؤثرا جدا وحقق أكثر من هدفه المعلن . فقد أراد أوباما ردع سورية من استخدام آخر للسلاح الكيماوي، وبهذا عزز مبدأ عدم استخدام السلاح الكيماوي . وبالفعل أنجزت عملية نزع سورية من سلاحها الكيماوي- وهو شئ سيعزز مبدأ عدم امتلاك السلاح الكيماوي . ولكن ما عدا ذلك، وعلى أساس الحرب الأهلية في سورية، فان الأهمية الأساسية تكمن في إمكانية البدء بخطوات تحييد أخطار خزان السلاح الكيماوي العظيم في سورية، الذي من شأنه في مواقعه المختلفة ان يقع في أيدي مسؤولة اقل حتى من تلك التي لنظام الأسد.

عملية تدمير السلاح الكيماوي السوري-شروط الاتفاق

وقعت معاهدة منع السلاح الكيماوي في ١٩٩٢ وكانت في الحقيقة الأخيرة في سلسلة المعاهدات التي وقع عليها في مجال ال سلاح اللاتقليدي؛ سبقتها معاهدة منع انتشار السلاح النووي (NPT) والمعاهدة البيولوجية (BTWC). وعلى غرار المعاهدة البيولوجية، فان المعاهدة الكيماوية هي أيضا معاهدة لمنع تطوير، واستخراج، وإنتاج، وخزن ونقل السلاح، وهي تنطبق على كل الدول الأعضاء دون استثناء . ولكذ على النقيض التام للمعاهدة البيولوجية، التي لا تشكل أكثر من وثيقة تصريحية، فان معاهدة منع السلاح الكيماوي (OPCW) Organization for the Prohibition of Chemical Weapons تتضمن جهاز مراقبة وتحقق متقدم جدا، وأيضا قوائم مفصلة عن مواد ممنوعة للتطوير، والتملك والاستخدام . وألقت على OPCW مسؤولية تطبيق الاتفاق والتحقق منه مع سورية . وعلى طول السنين، دمرت تحت إشراف أ ل OPCW ما يقارب ٥٨٠٠٠ طن من المواد الكيماوية، التي تمثل ما يقارب ٨٥% من مستودعات السلاح المصرح عنها في العالم كله، معظمها في الولايات المتحدة وفي سورية. لكن الحالة السورية تضع أمام المنظمة تحديا مركبا و أكبر حتى الآن.

ان اتفاق وزيرا خارجية الولايات المتحدة وسورية، الذي تبنته الأمم المتحدة، قد وضع جدولاً زمنيا مكثفا جدا. وكجزء من عملية انضمامها إلى المعاهدة، على سورية ان تقدم لل OPCW خلال شهر أيلول ٢٠١٣ البيانات الرسمية اللازمة وفق مبادئ المنظمة، لاسيما مفصلا لجميع برامج السلاح الكيماوي، والمواقع، والكميات، والأنواع وما شابه ذلك، وأيضا برنامجا عاما لتدميرها (٦). وقد حدد في المرحلة الأولى، ان تقوم بعثة أ ل OPCW التي ستصل إلى دمشق في بداية تشرين الأول بتحديد وتدمير، حتى نهاية الشهر، قدرة الإنتاج، والمزج والتعبئة في ٢٣ موقعا كشف عنها السوريون . وحسب تقرير البعثة، تعاون السوريون في إتمام البرنامج كما خطط له (٧) . وبالإضافة إلى ذلك، طلب من

السوريين أن يقدموا حتى الخامس عشر من تشرين الثاني برنامج تدمير مفصل لكل ترسانة السلاح، والمواد ومواد المصدر التي بحوزتهم . وفي ١٨ تشرين الأول، صادق أُل OPCW على برنامج تدمير مع جداول زمنية ووسائله . ووفقا للبرنامج، فإن تدمير المواد الأخطر كان يجب ان تبدأ في أواخر شهر كانون الأول ٢٠١٣ وتنتهي عند نهاية شهر آذار ٢٠١٤، في حين يتم تدمير الكيمياءويات السامة حتى نهاية حزيران ٢٠١٤ - وعندئذ ستسلب سورية من خزان سلاحها تماما وأيضا البنية التحتية لإنتاج مواد جديدة.

تنفيذ الاتفاق

ان الظروف السائدة في سورية تصعب وتستصعب تنفيذ الاتفاق الطموح كثيرا، والجداول الزمنية المكثفة جدا له . فالمعارك المستمرة بين قوات الأسد وبين جماعات المتمردين المختلفة تعقد عمل الخبراء وأيضا تعرض أمنهم للخطر . علاوة على ذلك، من المعروف قبل الحرب ان المنظومة الكيمائية - البيولوجية السورية تضمنت مواقع ومركبات كثيرة : معاهد بحوث، ومواقع إنتاج، ومواقع تخزين وبالطبع منظومات سلاح متنوعة. وكان جزء من هذه المواقع معروفا لدى دول الغرب، ولكن جرى في أثناء الحرب المستمرة في سورية نقالات في هذه المنظومة، وليس هناك ضمان في ان كل المواقع هي معروفة وقائمة . أضف إلى ذلك أن هناك خطرا لا يمكن التقليل من أهميته وهو تسريب مواد كيميائية و /أو منظومات سلاح لموظفات إرهابية متطرفة . ومع ذلك، أعلن السكرتير العام ل OPCW انه على الرغم من التحدي الصعب والمركب فانه متأكد من ان المنظمة تستطيع إنجاز هذه المهمة، ولكن يجب التذكير ان هذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها من المنظمة تنفيذ مهمة فنية مركبة جدا في دولة موجودة، في الحقيقة، في حالة حرب.

ان التحديات الفنية، والأمنية واللوجستية توضح ضرورة مواصلة الطريق حتى نهايته . فقد أخذ في الحسبان منذ بداية هذه العملية اتخاذ أساليب عمل في - تنفيذي ممكنين . الأول نقل معظم خزان السلاح الكيمائي إلى دولة ثالثة مثل روسيا، التي تمتلك خبرة في معالجة وتدمير السلاح الكيمائي، وتدميره هناك. فهناك جزء معروف من خزان المواد الكيمائية للأسد مخزونة بشكل "ثنائي"، أي مادتين مختلفتين، وعند مزجهما حشوهما فقط تتحولان إلى مواد قتالية، إذ ان المواد الأصلية ليست سامة بمستوى عال، ولذلك فان نقلها بسيط نسبيا ولا يتطلب ظروف أمان خاصة، وعملية تدميرها اقل خطورة أيضا . ولكن المطلوب حتى الآن هو معالجة منظومات متحدة في ارض سورية، حيث سلح الأسد، على ما يبدو، جزءا من وسائل الإطلاق بهذه المواد، وهناك ضرورة تدمير مواقع التطوير، والإنتاج

والتخزين. أما البديل الثاني فهو يش به أساسا برنامج العمل الذي نفذته مفتشو الأمم المتحدة في العراق بعد حرب الخليج الأولى. وقبل كل شيء الحاجة للخرائط، وتأشير ووضع إشراف بشري و /أو كاميرات في كل المواقع المناسبة، وفي المرحلة الثانية- بناء برنامج تدمير للمنظومة في كافة أرجاء سورية.

لقد اتضح سريعا ان الخيارين غير قابلين للتنفيذ- الأول، عدم وجود دولة واحدة تطوعت في تدمير المواد الكيميائية على أراضيها، والثاني بسبب الظروف الراهنة في المنطقة. لذلك اقترح الأمريكيون خيارا ثالثا جديدا ومنجحا، الذي بموجبه يتم نقل المواد الأكثر خطورة من مناطق مختلفة من سور ية إلى ميناء اللاذقية، ومن هناك تنقل في سفن عدد من الدول الأخرى (الدانمارك، والنرويج، وروسيا، والصين) إلى سفينة أمريكية تعد بشكل خاص لاستخدامها في تدمير المواد الخطرة في قلب البحر (٨). وبسبب المشاكل الفنية والأمنية وظروف المناخ، فان عملية إخراج المواد الكيم ياوية "الأخطر" لن تبدأ حتى أل- ٣١ من كانون الأول؛ وعمليا، فقد وصلت الإرسالية الأولى إلى ميناء اللاذقية فقط في السابع من كانون الثاني ٢٠١٤، ولم يستطع متحدثو أل- OPCW من تقييم العراقيين المتوقعة في طريق إتمام العملية. (٩) ان الطريق لتنفيذ الاتفاق بكامله مرصوف ب العقبات. أولا، يجب الإشارة إلى ان الإعلان السوري الأصلي لم يدقق بعد، وليس من الواضح فيما إذا تم إخفاء جزء من المواقع منذ البداية. ففي المراحل الأولى لتنفيذ الاتفاق عبر المفتشون عن رضاهم من مدى التعاون الذي أبدته السلطات السورية، وليس من المعقول ان اتصلوا م نه بشكل حاسم وتنسحب من التزاماتها. ولكن، وعلى الرغم من جهود المفتشين، يجب الافتراض انه قد حصلت عمليات من جانب وكالات مخابرات في الغرب عبرت عن عدم تأكدها من تعاون النظام السوري بشكل كامل وتام، وانه لا يحاول إخفاء أجزاء من منظومته الكيميائية، من اجل الحفاظ على ما تبقى من قدراته. وقد ظهرت حقا، في نهاية كانون الثاني ٢٠١٤، تقارير عدة تفيد من ان السوريين يؤجلون تطبيق الاتفاق الأمر الذي دعا الولايات المتحدة إلى شجب سورية بشدة لإخفائها في تطبيق ما اتفق عليه في الاتفاق. (١٠) وثانيا، هناك مشاكل موضوعية، نابعة من الحقيقة في ان نزع المواد الكيميائية منفذ في دولة تدور فيها حرب طاحنة وان معظم المواقع موجودة في مناطق تحت سلطة النظام، وان محاور نقل المواد غير مؤمنة دائما.

ومع ذلك، ليس هناك نقص في الطاقات المكرسة لهذا الجهد، وطويلة هي قائمة الدول المستعدة للمساهمة في إنجاح ه وحتى ألمانيا، التي تفضل عموما المحافظة على مظهر منخفض في النزاعات الدولية، عبرت عن استعدادها في المشاركة في تدمير النفايات الكيميائية السامة بمستوى صناعي (١١). إضافة إلى ذلك، ليس من المعقول في ان النظام السوري يريد التنازل عن المكاسب السياسية التي حصل علي ها،

وأيضاً المحازفة بفقدان الحصانة وعودة خيار الهجوم الأمريكي الذي اجل في أعقاب تبني المقترح الروسي - فيما إذا تنصل بشكل حاسم من مضمون الاتفاق. وتلخيص هذا الفصل، ودون الإشارة إلى التأخير في الجدول الزمني المخطط، من المعقول ان نفترض بان العملية ستستمر صوب هدفها المعلن.

مفاهيم وأبعاد على المنطقة وعلى إسرائيل

ان الاتفاق، وقبل تنفيذه الكامل، سيسوي الأزمة الكيماوية في سورية وسينتج قائمة طويلة جدا من الخاسرين والراجين . والخاسر الرئيس دون شك هم السكان المدنيون في سورية، الذين سيقوموا معرضين للقتال بوسائل تقليدية، دون أمل من تدخل خارجي مهم لصالحهم . وفي المفهوم السياسي، يشكل الاتفاق ضربة قاسية للمعارضة السورية، لاسيما العناصر المعتدلة، والعلمانيون الأكثر من بين صفوفها، الذين علقوا آمالا كثيرة على التأثيرات المباشرة واللامباشرة لهجوم أمريكي على النظام، وبقوا، بعد توقيع الاتفاق، دون مرسى يعزز نضالهم . ويمكن ان نضم أيضا العناصر الإقليمية، خاصة الممالك والإمارات السنية في الخليج، وعلى رأسها العربية السعودية، التي ساندت وتساند المعارضة ضد النظام، والتأثير الإيراني في الشرق الأوسط عموما. لقد استنتجوا هؤلاء جميعا من ان إدارة نظام أوباما لازمة- وأيضاً من الاتفاق الثنائي بشأن المشكلة النووية الذي وقع مع إيران في شهر تشرين الثاني- أنهم لا يستطيعوا الاتكال في نضالهم على عون أمريكي فعال.

ومن جانب ثان، يعد النظام السوري هو الرابح الفوري الأساسي، فلم ينجح فقط من التملص من هجوم أمريكي مباشر، وإنما أيضا فاز بما يشبه (شهادة تامين) للاستمرار في قتال بني شعبه وبكل الوسائل. ومن اجل التنفيذ الفعلي لبرنامج التفتيش والتدمير بشكل فعال فانه يتطلب تعاوننا مع النظام، كما ان الرغبة في تطبيق الاتفاق أنتج نوعا من المصلحة المشتركة بتعزيز سلطة النظام (على الأقل في المناطق التي تتمركز فيها مواقع كيماوية) وبتامين المحاور (بضمنها المحور المركزي دمشق- حمص) التي يتم إخلاء المواد الكيماوية عبرها. علاوة على ذلك، فان قيام الاتصالات بحد ذاتها، على الأقل خلال تنفيذ الاتفاق، يمنح النظام شرعية عملية من ناحية الولايات المتحدة وغيرها، التي لم تدعو لإزالتها- كل ذلك بسعر تنازل عن وسيلة هي دون شك ذات قيمة ضد المخربين، وخاصة المواطنين غير الحميين، لكن قيمتها تنقل بالمقارنة بالتهديد (ربما الوجودي) للنظام، الذي ينبع من تدخل خارجي كجواب على استخدامه.

إضافة إلى النظام، تعد روسيا من الراجح أيضا، والتي ساهم نشاطها الدبلوماسي وبروزها في تقدمها (وربما عودتها) إلى الصف الأول في المسرح السياسي الدولي، وأيضاً إيران، التي ادخرت ضرورة، في حالة هجوم أمريكي، ان تختار اختياراً مؤملاً بين ترك مدللها المركزي وبين مواجعة جبهوية مع الولايات المتحدة بشأن لا يشكل ضرورة وجودية للنظام الإيراني - مهما كانت. ولكن إذا طبق الاتفاق، فمن المحتمل - مع مزيد من السخيرية، ان تكون الراجحة الكبيرة (على الأقل في المدى الأمني الضيق) إسرائيل - الالعبة الوحيدة التي لم تكن متورطة مباشرة، لا في الأزمة الكيماوية بشكل خاص وليس في الحرب الأهلية عموماً.

أبعاد على الميزان العسكري / الاستراتيجي الإسرائيلي / السوري

ان تدمير خزان المواد الكيماوية وسلب القدرة السورية من إنتاج مركبات جديدة من السلاح الكيماوي أو تعبئة رؤوس حربية على أنواعها سيسبب ضرراً بشكل ملحوظ لمركب مركزي للقدرة العسكرية - الإستراتيجية السورية أمام إسرائيل، وجوهرياً في مجال الردع . وكان من المقبول الاعتقاد ان لجيش الدفاع الإسرائيلي أفضلية حاسمة على الجيش السوري في المجالات كافة . وقد عرفت سورية ذلك أيضاً . ان العنصر العسكري - الاستراتيجي الوحيد الذي كان يشكل تهديداً مهماً على إسرائيل هو السلاح الكيماوي السوري . فقد رأى السوريون بهذا السلاح جواباً معيناً أو ردعاً تجاه السلاح النووي الذي تمتلكه إسرائيل، حسب رأيهم، وأيضاً كجزء من المنظومة الحربية التكتيكية في الحرب التقليدية (مهاجمة مطارات ووحدة مخازن الطوارىء، على سبيل المثال)، وبالتالي كتهديد على المؤخرة المدنية الإسرائيلية. وإذا افترضنا ان سورية ستنتزع سلاحها الكيماوي تماماً (وان الأسد لن يخفي جزءاً من قدراته أو ينقلها إلى أيدي حزب الله)، فان ذلك سيشكل دون أدنى شك تغييراً إيجابياً في ميزان القوى العسكري لصالح إسرائيل.

وفي هذه الحالة، يمكن تقليص وتوفير جزء من الموارد المخصصة لذلك الآن، حيث ان التهديد اللاتقليدي الكيماوي والبيولوجي على إسرائيل كان قائماً منذ سنوات الستينات من جانب مصر . وقد انضمت سورية إلى هذا التهديد في نهاية سنوات السبعينات، وفي سنوات التسعينات كان التهديد الكيماوي الأساس من جانب العراق تحت سلطة صدام حسين . ومع اضمحلال التهديد الكيماوي العراقي بعد حرب الخليج الأولى، برز بشكل حاد التهديد السوري - صواريخ حاملة رؤوس حربية كيماوية يمكن ان تصل إلى جميع ارض دولة إسرائيل . وكانت سياسة حكومة إسرائيل دائماً توفير الحماية للسكان المدنيين. وقد استثمرت إسرائيل موارد كبيرة الحجم في حماية غير فعالة للسكان المدنيين : تطوير،

وإنتاج، وتجهيز (لاسيما وسائل حماية شخصية)، وبناء غرف ذرية وملاجئ محمية من الهجمات الذرية والبيولوجية والكيميائية في مبان عامة، وأيضا في تهيئة مستشفيات، وبإعداد مستودعات للأدوية وبتمارين على المستوى القومي. وإزاء هذا الوضع الجديد، وبافتراض تدمير السلاح الكيميائي، ستكون هناك ضرورة لإجراء تغييرات في موضوع الحماية غير الفعالة للسكان المدنيين، بضمنها تقليص ضخم في منظومة الأقتعة. ان إسرائيل تريد بالتأكيد حماية عدد من مراكز القيادة والمنشآت العسكرية الأخرى من اجل المحافظة على قدرة الرد- قدرة الردع- في حالة استخدام القدرة المتبقية التي من المحتمل بقائها في أيدي سورية، أو أية دولة أخرى. ومن المحتمل ان تكون هناك ضرورة أيضا في الحفاظ على مركبات دفاع معينة تعطي جوابا على بؤر الإرهاب الكيميائي والبيولوجي، مثل الأدوية وإعداد المستشفيات. ولكن من المحتمل أيضا ان نزع جزء معروف من السلاح الكيميائي في المنظومة السورية يلغي ضرورة رد واسع وباهض لتهديد كيميائي كما هو قائم الآن، ويمكن من توجيه الموارد المخصصة له لحاجات أكثر إلحاحا- أمنية أو مدنية.

أبعاد في مجال مراقبة السلاح

في المجال اللاتقليدي، يسود في الشرق الأوسط وضعاً مركباً جداً. فقد عرف عن إسرائيل لدى جارئاتها (والعالم كافة) في أنها تمتلك قدرة نووية كبيرة، وربما أيضا ذات قدرة في المجال الكيميائي والبيولوجي. فإسرائيل ليست عضواً في أل- NPT ولا في أل- BWC، ووقعت على معاهدة منع السلاح الكيميائي (CWC) لكنها لم تصادق عليها. وحتى توقيع الاتفاق الذي حل (إلى حد ما يمكننا الحكم عليه في ٢٠١٤) الأزمة الكيميائية، لم تعترف سورية أبداً ان كان لها قدرات في المجال الكيميائي-البيولوجي (على الأكثر أشارت على "وسائل خاصة")، وطلبت ان تنضم إسرائيل إلى أل- NPT كشرط مسبق لتوقيعها على المعاهدات BWC و CWC. وفي أعقاب انضمام سورية لل- CWC والتزاماتها في هذا الإطار (تدمير السلاح وإشراف OPCW)، بدأنا سماع مقولات من مصادر مختلفة مثل الأسد نفسه، ووزير الخارجية الروسي لابروف وآخرين، ان على دولة إسرائيل الآن المساهمة بنصيبها والانضمام لمعاهدات السلاح اللاتقليدي.

وفي شهر تشرين الأول ٢٠١٣، قرر المكتب السياسي-الأممي (دون تصويت) في ان سياسة إسرائيل بشأن المعاهدة الكيميائية باقية على حالها. (١١) وعلى الرغم من ذلك يبدو، وعلى أساس العملية الدراماتية في سورية، ان هناك مجالاً لتداول عميق في المسائل المرتبطة بسياسة موضوع السلاح الكيميائي، وإعادة تقييمها من جديد. حقا سيكون هناك من يدعي ان المصادقة على المعاهدة سيحدد

أية ورقة مساومة وبدلا منها يمكن القبول بشيء ما، لكنهم لا يشيرون إلى جوهره . وهناك ادعاء آخر يؤكد ان المصادقة على المعاهدة فقط " سيدعو " إلى ضغوط للتوقيع و/أو المصادقة على معاهدات أخرى، وهذا من شأنه ان يشكل منحدرًا أملسًا . ويقدر ما يمكننا الحكم من تاريخ التوقيع الكيماوي - وليس المصادقة- على المعاهدة الكيماوية، فان التجربة لا تدعم بالضرورة هذا التوقع . ومن المعقول أكثر الافتراض ان الامتناع فقط من الانضمام لأي اتفاق مراقبة سلاح غير تقليدي هي التي تثير الأخبار في ان إسرائيل تعارض مبدئيًا مراقبة السلاح وتدعو إلى ظهور الضغوط. وفي الواقع الجديد الذي سيسود بعد تطبيق الاتفاق السوري، فان المصادقة لن تضر بالضرورة بالمصالح الأمنية، وإنما تستطيع ان تؤسس الادعاء بان الموقف الإسرائيلي ينبع من حاجات أمنية حقيقية، وعندما يمكّن الواقع الأمني ذلك، لن تتردد إسرائيل من الانضمام إلى أجهزة تعاون دولي . بكلمات أخرى، ان المصادقة على المعاهدة الكيماوية يمكن ان يؤجل ضغوطًا في مواضيع أكثر حيوية، وبذلك يحسن مكانة إسرائيل السياسية . وعلى أية حال، وفي أعقاب تسوية الأزمة الكيماوية السورية، يبدو ان واجب البرهنة ملقى على أولئك المستمرين في إسرائيل الالتصاق برفض المصادقة على معاهدة منع السلاح الكيماوي.

ان الحرب الأهلية في سورية تطورت بشكل غير متوقع تماما عندما وافقت سورية التنازل عن ملكها الاستراتيجي الأساس . وما وراء جوهر تدمير السلاح الكيماوي، تكمن في جعبة هذا التنازل فرصا لتغييرات وبدائل في السياسة الأمنية والإستراتيجية لإسرائيل . ومن المناسب ان تتوضّح هذه الفرص وتستغل كليا.

ملاحظات

1. Shlomo Brom, INSS Insight No. 362, August 12, 2012, <http://www.inss.org.il/index.aspx?id=4538&articleid=5222>
2. Jay Solomon and Julian E. Barnes, "U.S. Warns Syria on Chemical Arms", The Wall Street Journal, December 3, 2012, <http://online.wsj.com/article/SB10001424127887324355904578157304242057288.html> December 18, 2012, <http://www.nti.org/gsn/article/envoy-turkey--us-red-line-syrian-chemical-arms>
3. "Syria Chemical Attack: What We Know", BBC News, Middle East, September 24, 2013, <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-23927399>
4. David Friedman, Shlomo Brom. INSS Insight No. 466, September 16, 2013, <http://www.inss.org.il/index.aspx?id=4538&articleid=5624>
5. Organization of the Prohibition of Chemical Weapons, <http://www.opcw.org/ourwork/demilitarisation>

6. "Syria's Accession to the Chemical Weapons Convention Enters into Force".
.Organization for the Prohibition of Chemical Weapons,
http://www.opcw.org/index.php?id=242&tx_ttnews%5Btt_news%5D=1770&cHash=13191b0de84ad0269aa2d6362e3b79e8
7. "Syria Completes Destruction Activities to Render Inoperable Chemical Weapons Production Facilities and Mixing/Filling Plants", .Organization for the Prohibition of Chemical Weapons,
<http://www.opew.org/news/article/syria-completes-destruction-activities-to-render-inoperable-chemical-weapons-production-facilities-a/>
8. Rick Gladston, "U.N Official Details Plans For Removing Syria'hemical Arms", International New York Times.
http://www.nytimes.com/2013/12/05/world/middleeast/un-official-details-plans-for-syrian-chemical-arsenal.html?_r=0; "Sea Based Destruction of Syria's CWProposed", The Trench,<http://www.the-trench.org/sea-based-destruction-of-syrias-cw-proposed/>
9. "First Batch of Deadly Chemicals Exported from Syria,"The New York Times, December 7, 2014,
http://www.nytimes.com/2014/01/08/world/middleeast/syria-chemical-weapons.html?ref=middleeast&_r=0
10. Michael Wilner and Reuters. "Washington 'deeply concerned' about delay in Syria's removal of chemical arms stockpile," Jerusalem post, January 31, 2014.
11. "Germany agrees to help destroy Syria's weapons," BBc News Middle East
<http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-25664162>